Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أشياء خيالية لا أساس لها من الصحة والواقع ليضفي على كتابه مظهرا من مظاهر الجدة والأهمية ويضمن له النجاح وسرعة الانتشار . ولا يمر وقت طويل حتى يصبح هذا الكتاب مصدرا وحجة تستقى منه المعلومات وتبنى عليها الأحكام» ، (ص ١٩٤) . وتقول إنها وقعت في الخطأ نفسه عند وصولها أوروبا بسبب انخداعها بظواهر الأمور ، فقد خدعتها علائم البشر التي تغمر الوجوه وهي تزور بعض الأسر أو تخرج معهم ، فظنت أن حياة الأسرة في أوروبا أقرب إلى السعادة مما في بلادها . ولكن عند ما ازدادت علاقاتها وكثر عدد معارفها ونفذت إلى دخائل حياتهم الأسرية اكتشفت مقدار خطأ أحكامها الأولى ، فما يضمر الكثيرون غير ما يظهرون . وتعرفت على الكثير من الزيجات التي ظاهرها السعادة وباطنها شر أنواع العذاب . وقد انتهت بها ملاحظاتها إلى أن السعادة الأسرية والانسجام الروحي ـ في رأيها ـ «لا علاقة لهما بنظم الزواج ولا بدين المرء أو معتقده أو تقاليده ، وإنما يعتمدان أولا وأخيرا على مقدار تفهم كل من الزوجين للآخر» ، (ص ١٩٤) .

ورأيها هذا في السعادة الزوجية نموذج لطريقة تفكيرها التي كونتها جذور عشرين عاما في الشرق ، وقشور عشرين عاما أخرى في الغرب مما جعلها تنتقد نظام الزواج الغربي ولا تتحمس لنظام الزواج الشرقي وتنتهي إلى التخلص من أي أثر اجتماعي أو ديني على السعادة الزوجية وتجعله أمرا فرديا خالصا متوقفا على «مقدار تفهم كل من الزوجين للآخر» .

ولكن موقفها ليس دائما مثل هذا الموقف الذي لا مع الغرب ولا الشرق بل إن كفته أميل في أحيان كثيرة إلى الشرق . فعند ما انتقلت مع أمها من بيت الموتني إلى بيت الواتور ولأسباب يضيق المجال عن شرحها وسأل أهل الدار أمها عن سبب رحيلها كان ردها أن الانتقال لم يتم بإرادتها إنما هو قضاء من الله لا رد له . ثم تخاطب المجتمع الغربي بأن كلمة قضاء من الله ربما تصدم تفكير بعض القراء . وهؤلاء لا شك ممن أغلقوا أبصارهم وبصائرهم دون عظمة الخالق . . وتجاهلوا إرادته العليا معتقدين أن الصدفة لا غيرها هي التي تقرر مصائر الانسان (ص ٧١ ـ ٧٢) . ثم تذكر القراء «أن صاحبة المذكرات إنما تروي ذكرياتها عن الحياة العربية في البيوت العربية حيث لا وجود هناك البتة لكلمتي الصدفة والطبيعة ، كما يجب ألا يفوت